لبنان والعدوان

كثيرون يعتقدون ان ما تقوم به اسرائيل من هجمات وحشية على لبنان مستهدفة ضرب المخيمات وتجمعات الفدائيين انما هو الفصل الاخير من فصول التسوية الاميركية الجارية الان. ولكن المسألة ليست بمثل هذه البساطة، وهي في الظروف الراهنة تتعدى الاهداف المحتملة للعدوان الى الواقع الذي جعله ممكنا باستمرار.

وكثيرون يعتقدون ايضا ان حصر المسؤولية في ما يجري قد فات عليه الوقت وتجاوزته الاحداث بعد توقف القتال على الجبهتين المصرية والسورية وما اسفر عنه ذلك من اتفاقيات فك الارتباط. وهذا بدوره تبسيط للامور يقفز فوق الحقائق التاريخية للصراع العربي - الاسرائيلي ويتصور ان هذا الصراع يشهد الان خاتمته.

وليس هناك من شك في ان ما آلت اليه حرب تشرين وما رافقها من امتداد للنفوذ الاميركي في المنطقة قد سهل كثيرا استفراد لبنان واستفراد المقاومة الفلسطينية على ارضه، ولكن ذلك لا يعفي احدا من الاطراف المعنية، سواء الدول العربية او السلطة اللبنانية او المقاومة الفلسطينية، من مسؤولية ما جرى ويجري على اختلاف درجات هذه المسؤولية.

واذا كان التقصير العربي بحق لبنان قد ظهر بعد العدوان الاخير جسيما وفادحا، فهذا لا يعني ان السلطة اللبنانية لم تكن متغاضية عن هذا التقصير ومرتاحة له، ان لم تكن قد ساهمت فيه بشكل او باخر، كما انه لا يجعلها في حل من الالتزام الوطني المجرد عن اي اعتبار اخر بالدفاع عن ارض لبنان وعن سمائه وعن اهله والمقيمين فيه

ولئن حالت في الماضي ظروف واعتبارات «خاصة» مهما كان نصيبها من الموضوعية او من الخصوصية دون قيام قوات عربية بالدفاع المباشر عن لبنان، فان هناك حقيقة اخرى ماثلة للعيان وهي ان لبنان كان جزءا من القيادة العربية المشتركة ومن خططها الدفاعية، وان هذه القيادة المشتركة قد اقامت على الارض اللبنانية شبكة للدفاع الجوي منها طائرات الميراج والرادار ولم يكن ينقصها لكي تكتمل الا شبكة صواريخ كروتال التي الغيت في عهد حكومة صائب سلام فالتغت معها الخطة الدفاعية الفعلية والوحيدة التي التزم بها لبنان عربيا حتى الان.

ويتبين الان في ضوء ما هو حاصل من اعتداءات اسرائيلية وحشية وواسعة النطاق على الاراضي اللبنانية، ان جريمة الرشوة التي ارتكبها بعض المسؤولين العسكريين السابقين عند عقد صفقة الصواريخ، لا تقاس بالجريمة الوطنية المتمثلة بالغاء الصفقة ومعها خطط الدفاع الجوي.

بل انه لم يكن هناك ما يمنع ان يعاقب المسؤولون عن الرشوة وينزل بهم العقاب الصارم وان يبقى للبلاد ما تدافع به عن كرامتها وعن شرفها وعن ارضها وابنائها.

على انه بالرغم من كل ما حدث حتى الان، فان الوقت لم يفت بعد لاستدراك كل خطأ وقع في السابق سواء على صعيد التقصير العربي او على صعيد الاهمال المحلي لاسباب كثيرة اهمها ان الصراع العربي - الاسرائيلي لم يصل الى خاتمته ولن يصل اليها في اي مدى منظور بالرغم من المحاولات والتسويات الجارية لافتعال نهاية غير عملية له. ثم ان اي نهاية لهذا الصراع دائمة او مؤقتة لا تبرر التغاضي عن بناء قوة دفاعية حقيقية هي رمز للكرامة الوطنية كما تفعل بقية دول العالم كبيرها وصغيرها في السلم وفي الحرب.

الا ان المهمة العاجلة في هذه الظروف الدقيقة والصعبة التي يمر بها الشعبان اللبناني والفلسطيني هي ان تتجسد بينهما على اكمل وجه وحدة السلاح ووحدة المصير، وان تتوثق عرى التضامن والتلاحم بينهما على اختلاف الفصائل والمشارب والاتجاهات.. لان العدوان الاسرائيلي لم ينته ولن ينتهي الا بزوال دولة اسرائيل العنصرية.

سليمان الفرزلي